ان هذا الاغتراب يصبح نوعاً من الكوميديا حين يقوم باعادة ترتيب ومسح الوقائع بصورة تستمد دافعها الوحيد من الحاجة التي يقتضيها اصطدام الوعي الحزبي بخيبة الامل من الواقع، للمحافظة على قدر من التماسك الايديولوجي الهش بغية تبرير عجزه السياسي وقصوره عن رؤية دوره ووزنه في التأثير في مجرى الاحداث. وهذه الحاجة هي التي تدفعه الى القاء تهمة هذا العجز، والتقصير، على العوامل الخارجية، حتى ولو أدى ذلك الى ابتكار هذه الاسباب من الخيال[٥١]. وهكذا، فان «الاسناد والدعم الذي تقدمه الرجعية والبرجوازية العربية للبرجوازية الفلسطينية هو العامل الاهم الذي يبقي على هيمنة البرجوازية الفلسطينية»، أي مصدر قوة هذه البرجوازية. ولكن كيف ؟ هذا ما يصمت القول الايديولوجي عنه تماماً. ولكن اذا كانت البرجوازية الفلسطينية هي التي فجرت الثورة حقيقة، فانه يجب اسداء الثناء للبرجوازية الفلسطينية على هذه القدرة الاسطورية حقاً، التي استطاعت الاقدام على اخذ مثل هذه المبادرة التاريخية، التي حملتها، في ذلك الوقت، وزر الاصطدام بأكبر قوة اقليمية عربية في العالم العربي (نقصد بذلك زعامة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر)، ولا ندري اذا كان الرفاق في الجبهة الشعبية يعتبرون النظام الناصري تعبيراً عن الطبقة البرجوازية، ام عن الطبقة العاملة ؟

ان القيام بتلك المبادرة كان، كما اثبت الواقع، العامل الحاسم في استنهاض الشخصية الوطنية الفلسطينية من اجواء التبديد، والتمزق، والالحاق، الذي كانت تتخبط فيه الحركة السياسية للشعب الفلسطيني؛ ونضيف، ايضاً، انه اذا كانت الطبقة البرجوازية هي التي قادت هذه الحركة، فانها تكون، بذلك، قد عبرت عن نزوع وحدوي منذ البداية، الامر الذي يتناقض مع ما ذهب اليه التقرير باعتبار هذه الطبقة ذات منحى انقسامي، وانعزالي.

اما النقطة الثانية، والأهم، فان «البنية الطبقية لهذه القيادة»، وهي صاحبة شعار «عدم التدخل في الشؤون الداخلية العربية»، هي، وليس اصحاب شعارات التغيير الثوري للانظمة العربية[٥٢]، التي خاضت المعارك الحاسمة والفاصلة في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني طوال العشرين عاماً الماضية من اجل الحفاظ على الهوية النضالية المستقلة للشعب الفلسطيني، ومنظمة التحرير الفلسطينية. ولنا ان نتذكر ان قيادة م.ت.ف. هي التي خاضت الصدامات الاعنف، سياسياً وعسكرياً، ضد كل محاولات الالحاق التي مارستها الانظمة العربية، ولا سيما الاردن وسوريا والعراق وليبيا، وكذلك في لبنان، وحتى في مواجهة مصر في اكثر من حالة. واربعة من هذه البلدان تشكل ما يسمى بدول الطوق، وهي الدول المرشحة لأن تمارس، موضوعياً، تأثيراً اكثر من غيرها في الحركة السياسية الفلسطينية. هذا بينما (وهو ما سنوضحه بتفصيل اكثر فيما بعد) كان اليسار الفلسطيني، وعلى الاخص مصدرو التقرير، ينتقلون، عبر تاريخهم السياسي، من تحت مظلة هذا النظام الاقليمي الى تحت مظلة ذاك، وذلك في اللحظات التاريخية الاشد خطورة على الشعب الفلسطيني وثورته، أي عندما كانت نظم عربية برجوازية تحتاج الى موطىء قدم لاختراق المنظمة والثورة، والحاقها بخطوطها السياسية او بمشاريعها[٥٣]. فمن أين جاء هذا الاسناد والدعم الذي تلقته قيادة م.ت.ف.؟ أمِن النظم العربية البرجوازية ؟

على الرغم من ان هدفنا ينحصر في ان نبين ونكشف عن حدود التناقض القائم بين اقوال اصحاب هذه الايديولوجيا والواقع، وليس الاجابة عن السؤال آنف الذكر، الا ان الحالة تقتضي ـ حتى لا نتهم بالتهرب ـ ان نوجز اعتقادنا بأن مصدر القوة التي تتمتع بها قيادة المنظمة لا تأتي من كونها تتلقى الدعم من النظم العربية البرجوازية، كما ذكر التقرير، وانما من كونها تظهر في الممارسة السياسية قدراً اكثر عقلانية وواقعية في تعاملها مع هذه الدول. وهي واقعية جعلت قيادة المنظمة في الماضي،